وثائق أُنف

ان المرحوم الاب لويس بليل واضع تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية ، كان ولوعاً وضنيناً جداً بكل ما عثر عليه من وثائق واوراق قديمة، فاراد ادماجها بتاريخه المجلد الثالث الذي ننشره تباعاً في « المشرق الاغر » . ولما كانت تلك الوثائق خارجة عن نطاق التاريخ الخاص بالرهبانية ، رأينا نشرها على حدة لما فيها من فائدة .

الاب بطرس ساره اللبناني

قال رحمه الله ، اني في اثناء بحثي عن اوراق قديمة ، استعانة بها على وضع تأليفي ، عثرت على صورة منشورَيْن « فرمانين » صادرين من لدن الملكة كاترينا الثانية امبراطورة روسيا ، جواباً على عرائض استغاثة رفعها اليها امراء سناجق مصر . وكان ورود ذلك عن يد قنصل هذه الدولة . اما كيفية او سبب ورود هذَيْن « الفرمانين » (الرسالتين) ، من لدن الامبراطورة المذكورة ، فقد رواه الامير حيدر شهاب في تاريخه المعنون « نزهة الزمان في تاريخ لبنان » . قال : في تلك الايام حضر الى مدينة دومياط رسول من عند الملكة كاترينا سلطانة المسكوب ، بمكاتيب باللغة التركية الى امراء مصر ابناء محمود بك ابي الذهب؛ تذكرهم فيها انه وصل اليها عرض حالهم وصار معلوماً لديها انهم قد جعلوا اتكالهم عليها . فهي قد اجابت سؤلهم وامرت بخروج عمارة عظيمة مؤلفة من ثلاثمئة وثمانين مركباً ، فيها خمسة واربعون الف محارب. ولما وصل هذا الرسول الى مدينة دومياط ، اخبروه ان اسرة محمد بك ابي الذهب قد طردتهم الدولة العلية الى بلاد الصعيد وان والي مصر يومئذٍ هو اسماعيل بك بأمر الدولة ، وهو يتمنّع عن قبول هذه المكاتيب وقد يخشى من ان يقتله . فصرّح الرسول بانه لا بدّ له من الوصول اليه بحسب امر مولاته . فارسل وكيل جمرك دمياط اخبر اسماعيل بك بذلك ، فامره ان يرسل الرسول الى بولاق فارسله . وعند وصوله حضر اليه اسماعيل بك واخذ منه المكاتيب ورجع الى مصر . وفي الغد عقد اسماعيل بك ديواناً واحضر اليه القضاة والعلماء والاعيان واراهم تلك الكتب فاجمع رأيهم على ارسالها الى الدولة العلية ، فارسلها ورفع الرسول الى القلعة السلطانية .

وهذه صورة الرسالة الاولى :

بعون عناية رحماني وميامن توفيقات صمداني ، جلّ شأنه وعمّ احسانه . انا هي كاترينا الثانية ، الضابطة بذاتي وبعونه تعالى السلطنة على اجلال ممالكي روسيا وسفوفيا . . . وممالك قوزاق خاني وجان استراخاني خاقاني . . . المستقلين بملكنا من فضله تعالى بالارث والاستحقاق . .

ان النامة (الرسالة) الواجب استلامها الواردة الى سلطنتنا من عموم امراء المملكة المصرية ومن الذين هم تحت تصرفهم جميع الارباب والطوائف المقدمين لدولتنا حسن النية وخلوص الارادة ، صار معلوم ملكنا كيف المشار اليهم يلتمسون ان نخلصهم من قهر وتسلط وأمر الدولة العثمانية وانهم يكونوا مستقلين في مملكتهم . فيتضمن تحريرهم ان مرادهم ومقصودهم من سلطنتنا ان ترفع عنهم غدر العثمانية ولا نتركهم . وماتسين ايضاً ان نظهر عليهم من عنيتنا العالية حسن المعاملة وسند اليد وان يكونوا حكم الايام القديمة في مملكتهم مستقلين بدولتهم وامداد وعنايات سلطنتنا يكون دائم عليهم . فلاجل قبول ذلك في اعتابنا العلية فيحتاج بتلك الاطراف الى مكالمة ومذاكرة عقد وعهد وشروط ، فاقتضى ارسال بارون كوزا ونونس تامولي لاجل عقد العهد والشروط اللازمة لاجل عساكرية البرية والبحرية الذين هم بتصرف الباشي عسكر والاميرال غريك الذين يتوجهون لمساعدتهم بعد اتمام الشروط المذكوره فتكون حركته وعمله بموجبها وتستنظروا من بابنا الهمايوني نامها همايونية على تصديق وتحقيق الاعتماد الكلي على تفضلاته التي اعطيتها وذلك (لذلك) تفضلت جنده الماحكم باطناحا ابنه الى مملكتي بتفضلي في هذا الفرمان في اواخر شهر شباط ١٧٨٨ وهي السادسة والعشرين من مملكتنا .

تحريراً في مقام بطرس برج

(عن نسخة في يدي)

صورة الفرمان الثاني

انا هي كاترينا الثانية في القياصرة الضابطة الممالك المذكورة ايضاً خطاباً لافتخار الاماجد والاكارم الحاكمين حالاً بديار مصر عزتلو سعادتلو ، امراء عظام وحكماء اتمام ، من تحت احكامهم من الارباب والطوائف المختارين . من بعد التحيات الصافيات والتسليمات الوافيات ، انه بعناية الله وعاطفته الالهية في هذه الاوقات من بعد وفانا بالعدل ومراعاتنا بالصلح والعلاح مع آل عثمان خاصة ، لاجل ثبات العهود من حين حصولها الى الآن ، وهو بخلاف ذلك ما زال كل سعيه وهمته بسوء قصده بغدر العهود من حين حصولها الى هذا الآن . وغير ممكن كان يسكت لان مطلوبه الشر والخيانة مع مملكتنا وبغرضه تعدّى العهود ورفيع المقيم عنده

من طرفنا اياجياً (مندوباً) المتبر محبوس في يدي قاهة وكشف طلبه محاربتنا . ولا بد صار مسموع ومعلوم عند امريتكم ذلك . ومن قديم الزمان معلوم ومسطر ان هذا رأيه ومرامه . واطوار دولتنا ان تسالك بحسن النية وميل المحبة . ونحن على كمال المرتبة نميل الى المصالحة .

ولذلك ورد الى طرفنا قنصلنا بارون تونس في عام واعلام لسلطنتنا من جانب امريتكم بخالص الامل والمرام لتحسين قبول دولتنا باظهار الحماية والسناية وبذل التفضل بالفعل والقوة فحصل في نفس رضانا الهمايوني في اجرآه به .

ولاجل تحقيق ذلك والاعتماد الكلي ، اعطيت الموما اليه بارون تونس ان يبادر ويتوجه الى طرف امريتكم لاجل ان تكونوا حسب القديم الحكام غيرةً ومحبة واحدة . وتكونوا مسلطين على اقاليم مصر واموالها . ونحفظكم ونصونكم بكل مكنة من جور وتعدّي وغضب وقهر ، لان صلوحكم بذات الوقت الدولة العثمانية واقع بينها وبين دولتنا محاربة انشاء الله تعالى بعد قهر هذا المتسلط المتجبر ، تكونوا دائماً في مملكتكم بأمر حال واهدأ بال . ويرونكم مستقلين في مملكتكم . فسالايق بشهرة نامكم (ناموسكم) وشانكم تحصيل هذه الوسيلة ولا تفوتوا هذه الفرصة وتكونوا معتبرين في بلادكم .

وبعد هذا ليس من خواص سلطنتي التوقف عن الاعانة لمن التجأ الى سلكي . فان امداد امريتكم واعانتها عندي من اهمّ واخص اللوازم . وحال سماعي ووقوفي على وجه مرادكم من غير ريب اطلعت على هذا الصارف (المندوب) المرسل اليكم كل فصل وخلاصته تذاكرة يعرضها لكم الموما اليه . فتسموا منه جميع مطالبي وترسلوا من جانب امريتكم جواب مرخص لمكنا .

وان شاء الله تعالى في هذه السنة المباركة في ايام الربيع دونتمة الهمايونية يتوجه كفاءة المقدار بساكرها الى تلك الاطراف واذا قابلت دونتما[1] العثمانية يكتسبها . وبذلك لا يمكنه بوجه من الوجوه ، يعمل حركة عداوة معكم ما عدا انه يرفع عنكم سوء قصده . ودونتمة الهمايونية مأمور باتمامها من طرفنا حال استماعها بطلب الامداد منكم لاجل اعانتكم حسب الوقت والحال المتمكن نتوجه الى اعانتكم .

فعلى موجب ذلك لازم ترسلوا من طرفكم مراسيل جواب شافي بما ينوط بكل اطرافه مربوط بخلاص حسن نيتكم واعتمادكم على دولتنا . وكذلك تحضروا جميع المتعلقين بامريتكم وعساكر ورؤساء عساكر والارباب الساترة اي انه لا احد يتداخل ويتعاطى ويتعارض للدونتمة الهمايونية المتوجه لمساعدتكم ولاجل اثبات المحبة ايضاً الاميرال والاميرال كوربك ساري عسكرنا وتفضلنا في هذا الامر والفرمان في ٢٧ شباط ١٧٨٨ .

صح . منقول حرفياً عن الاصل

---

١) الدونتما لفظة فارسية تعني السفن الحربية .

من الوثائق الالف

رسالة من الاب انطون مارون الحلبي اللبناني رئيس الرسالة في مصر
الى السيد البطريرك يوحنا الحلو يخبره عن سوء معاملة الحكومة المصرية
لبعض اصحاب الوجاهة من طائفة القبط الكاثوليك

والسبب الداعي لهذا الكتاب هو ان الاب انطون مارون رئيس الرسالة المارونية في مصر كان يطلع السيد البطريرك على ما يجد من الحوادث التي تقع للطوائف الكاثوليكية في ذلك القطر . ومنها حادث المعلم الوجيه جرجس غالي القبطي الكاثوليكي ، ناظر الاقلام الاميرية في الحكومة المصرية . وهو معروف بوجاهته عند جميع الطوائف الكاثوليكية التي كان غيوراً عليها ومحباً لها ومحبوباً منها . وكان له نظر خاص على الطائفة المارونية .

لذلك رأى الاب انطون المذكور ان يروي حادثته المؤلمة للسيد البطريرك يوحنا الحلو بهذا الكتاب ، في سنة ١٨١٦ وهذا نصه الحرفي بلهجته المصرية :

« لا بد بلغ سيادتكم (غبطتكم) ما قد حصل الى المعلم جرجس غالي القبطي الكاثوليكي من اخصامه القبط الاراطقة اذ جرّموه بثلاثين الف كيس اي خمسة عشر مليون قرش (١٥،٠٠٠،٠٠٠) وانه يسلمه بيدهم وهم يعملوا حسابه والذي ينقص عن المبلغ المذكور هم يقدموه بحيث المعلم غالي يقتل . فالباشا ما قبل يقتل غالي بل قال لهم اني افوت لكم من المبلغ ستة الاف كيس (ثلاثة ملايين ٣،٠٠٠،٠٠٠) ثمن دم غالي وآخذ منه كامل ما تملكه يده من كلي وجزئي والذي يتحصل فوق ثمن دمه احسبه لكم والباقي اورده للخزانة .

وحالاً ارسل علم الى الكنجي بك وحاش (القى القبض) غالي واخوه فرنسيس وخازن داره قبطي وحاشهم في القلعة ورموهم تحت الضرب القاسي الى ان تفزرت ارجلهم وقرروهم على كامل ما تملكه يدهم ونزلوا مزاد في بيوتهم وباعوا كل شيء عندهم واحدهم الذي هو خازن دار غالي ، من شدة الضرب تلف حاله من بعد ما دفع ثلاثمئة كيس خمسة عشر الف قرش (١٥،٠٠٠) . نزلوه الى البيت وبعد كم يوم توفي .

وفرنسيس اخو المعلم غالي من شدة الضرب تلف ونزلوه للبيت من بعد ان دفع

على القول سبعماية كيس ثلاثمة الف قرش (٣٠٠،٠٠٠) . وحاله تصيان طاريح الفراش . غالي بقي في القلعة ومن شدة الضرب اهترو رجليه والقول انهم دوّدوا .

واخيرًا جميع الذي انجمع من غالي وجماعته مبلغه (يساوي) الفين ومسماية كيس مليون ومئة الف قرش (١،١٠٠،٠٠٠) . فقطعوا جرمها عدا دفعه الفين وثمانماية كيس مليون واربعماية الف قرش .

واخيرًا تقدم واحد من طائفة الارمن اسمه الخواجا جوانّي (يوحنا) هذا حكيم الباشا وكفل المعلم غالي بموجب تمسك ونزّله من القلعة الى بيته. ولبّسوا عوض المعلم غالي ثلاثة معلمين هراطقة احدهم جرجس الطويل والثاني اخوه جنا الطويل والثالث بشاره كاتب ابراهيم باشا هرطوقي. وهؤلاء هم الضاربين بغالي (الشاكون عليه) . والسبب في ذلك :

اولًا : بغضية في غالي من كونه كاثوليكي وهذه الوظيفة (ناظر الاقلام الاميرية) كانت مختصة بالاراطقة من قديم الزمان .

ثانيًا : من كون المعلم غالي ما اكتفى في انه أيد الجنس الكاثوليكي واظهره جهارًا حتى ان جملة كهنة وشعب من الاراطقة دخلوا الايمان على جاهه، بل طلب الزايد .

اولًا : ارسل طلب من المجمع المقدس ان يرسم على طائفته مطران قبطي كاثوليكي وحضر له امر من المجمع المقدس بقبول طلبه وقدس الحبر الاعظم انتخب لهم احد الآباء القبط رجل فاضل شيخ اسمه الاب متى . هذا الاب من تلاميذ مدرسة رومية معلم مشهور عند المجمع المقدس وقديم في مصر وهو وكيل المجمع المقدس في مصر على طائفته وانتخب مطران على مدينة أتاكا في بلاد المغاربة وانه متى انوجد بها مسيحيين يكون هو راعيهم واقامته تكون في مصر في محله وانه يرتسم في الجبل عند بطرك اخوتنا الروم الكاثوليك .

فحالًا غالي شرع في ارساله وسفّره الى دوماط ليتوجه يرتسم في الجبل واخرج له مكاتيب بالوصية (توصية) عليه من الاب ديتريوس حداد من رهبان دير المخلص وكيل بطرك الروم الكواثلة .

فلما حضر لدماط حالًا نزل حنا الطويل لعند الباشا الى اسكندرية ورفع

في غالي هذه الرقيمة (الشكوى) واخبر الباشا ان غالي كاتب الافرنج وجاب منهم امر في عمل مطران افرنجي في مصر حتى يصير الجميع افرنج ويبقى الاقليم تحت حكم الافرنج .

وانه ارسل للبابا تباع الافرنج هدايا مشتة وانه داخل في باطنه(ذمته) من مال مصر ثلاثين الف كيس (خمسة عشر مليون قرش (١٥،٠٠٠،٠٠٠) وانه ارسل اخبر الدولة العلية (العثمانية) بداخيل الاقليم المصري وارسل قوايم حساب البلاد عن يد سليمان باشا مع قسيسه الذي باعت يعمله مطران في الجبل ، مع غير كلام من هذا البحر .

فالباشا لما انه ذو عقل جليب ما قطع عقله كل هذا الكلام ، بل ارسل حاش القسيس من السفر واخذوا منه اوراقه كلها وفتشوا حوايجهُ وصندوقه وارساوا الاوراق الى مصر ؛ فما انوجد بهم شيء مما اتهموه به . ورجعوا القسيس لمصر .

فلما درى غالي ، حالًا دخل على الكخيا بك وتكلم معه وبرّر حاله وسفّر القسيس ثانية لدمياط بفرمان انه يخرج من البوغاز بدون احد يعترض عليه . واعرض الامر للباشا .

فالباشا كتب للكخيا بك انه يحوش غالي ويابس الثلاثة معلمين الذين ذكرناهم . فحاش غالي وحصل ما ذُكر . والقسيس رجعوا به لمصر وطلعوه للقلعة وضربوه علقه ثقيلة وجرموه بخمسة اكياس (الفين وخمساية قرش (٢٥٠٠) كان اعطاهم له غالي مصروف الطريق .

ثم طلبوا القس ديمتريوس خداد وكيل بطرك الروم الكاثوليك ، للقلعة وبوصوله ضربوه علقه ثقيلة (ضرباً قاسياً) ولولا وجود المعلم عبود البحري كاتب الخزينة لكانوا فقدوه (اعدموه) . والسبب لانه ظهر مع الاب متى مكاتيب باسم البطرك بالتوصية عليه .

ثم احضروا واحد اسمه طوبيا دَقّيه من دير القمر وضربوه علقه في القلعة والسبب لان حين انحاش غالي المذكور ، فطوبيا كتب مكتوب للعلم حنا خزام في المنصوره واخبره في موتت غالي وما جرى ، فمسكوا المكتوب من الساعي وارسلوا طلبوا طوبيا وضربوه .

ولم نقدر نشرح لقدسكم (لغبطتكم) ما قد حصل من العار والبهدلة والرزايا لكامل الجنس الكاثوليكي من البابا ونازل. وقام الليسفوروس واتباعه بتمرّد بليغ على الجنس الكاثوليكي.

واما السبب الثالث الذي حرّك هذه النار، (فهو) القول ان غالي اخذ ترى من علما مصر في اخذ نصف الكنايس والديورة التي مع القبط الاراطقة الموجودة في الاقليم. . . »

وفي السنة ١٨٢٣ كتب الاب انطون مارون المذكور الى رئيسه العام الاب اغناطيوس سركيس يخبره عن الامير بشير الشهابي الكبير حاكم جبل لبنان، عندما ذهب الى مصر مستجيرًا بواليها محمد علي باشا في السنة ١٨٢٢، قال:

« ان الامير بشير نازل حتى شهر آب في محلة أثر النبي بعيد عن المدينة (مصر) نحو ساعة ونصف وصحبته اولاده الامراء خليل وامين والمشايخ منصور الدحداح واخوته وغالب آغا وجدعون الباحوث ويوسف الخوري والشيخ فضل الخازن وخلائهم نحو خمس عشرة نسمة. وصاحب السعادة ولي النعم (محمد علي باشا)، يقدم له كل شهر عشرين كيس (١٠٠٠٠) خرجية للامير ما عدا مصاريف الاكل . . .

وان الامير كان اولًا في بني سويف ثم اذ حضر ولي النعم من الاسكندرية، احضره الى مصر فوصل اليها في ١٢ ك ١ السنة الماضية ولم يشأ ينزل في المدينة (مصر) لان محل أثر النبي خلا (منفرد). وقدم له خمس رؤوس خيل ثلاثة بارسنة فضية فاخرة واثنين بسروجه وثلاثة بقج كساوي وشيلان كشمير له ولاولاده ما عدا الخرج المعين لهم يوميًا. وصاحب السعادة (الامير بشير) يريد يوم بعد يوم مقابلته.

وكان كل صباح احد يذهب الآب رافائيل (الخراط من بكفيا) يقدّس لهم في الدير بمصر العتيقة. والآن اذ وصل الاب يواكيم الزرقي احد رهبان اخوتنا البلدية (اللبنانيين)، يقضي له ذلك (الاب يواكيم هو خادم دار الامير الشرعي). »

وفي ١٤ شباط ارسل الاب ارسانيوس القرداحي رسالة الى الاب اغناطيوس

بليل رئيس عام اخوتنا البادية ، يخبر فيه (فيها) بوصول مشرفة عن يد الاب يواكيم وفيه (وفيها) لغز عن سعادة الامير بشير واتباعه الكواخي وغيرهم واند عن قرب يرجعوا الى بلادهم .

قال : « شكرت افضالكم بارسال الاب يواكيم وحمدته تعالى لوصوله سالماً حيث الافتقار اليه . وصل مثل وصول اولادكم لا يكن لقلبكم فكرى (انشغال بال) لانهم حاصلين باعظم نعم .

فنسأله تعالى ان ينعطف ببراحم الالهية وتأييده العاري عن قرب يسهل لهم وللاب سبيل الرجوع بكل خير ونجاح ، الى قبلة الايدي الطاهرة ويحصل جمع الشمل بانوار كم الباهرة . الرجا الموآزرة بالدعا وعليه جبر الخواطر لانه على كل شيء قدير . » هـ.

(عن الاصل المحفوظ في البطرخانة في مصر)